شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٧ نابغة بني شيبان

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ ذكرهُ ابو الفرج في الاغاني (٦ : ١٥١) فقال : « اسمهُ عبدالله ابن المخارق بن سليم بن حضيرة بن قيس بن سنان بن حمَّاد بن جارية بن عمرو بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن عليّ بن ابي بكر بن وائل ، ثمَّ أوصلهُ بربيعة بن نزار . وقد وقع بعض اختلاف باسمهِ ونسبهِ . قال السيوطي في المزهر (٢ : ٢٢٩) عن ابن دريد « نابغة بني شيبان جمل بن سعدانة » (كذا) . ودعاهُ الزمخشري في الكشَّاف (ص ٤١) : « النابغة الذهليّ » وفرق بينهُ وبين النابغة الشيباني الذي يدعوهُ « جمل بن سعد » . ودعاهُ صاحب مجموعة المعاني (ص ١٤٠) « عبيدالله بن مخارق » وسمَّاهُ كثيرون « مخارق » . وجاء في تاج العروس (٦ : ٣٢) انهُ « عبدالله بن مخارق بن سليم بن حصرة (وفي ديوانهِ : خضرة) بن قيس بن شيبان (لا سنان كما ورد في الاغاني) بن حمَّاد بن حارثة (لا جارية كما ذُكر في الاغاني . وروى في ديوانهِ : « بن حارث ») ولم يذكر « ذهلاً » في السلسلة

﴿جنسهُ ودينهُ﴾ قال في الاغاني : انهُ « شاعر بَدَوي » . كان يُقيم كما نظنّ في حدود الشام مع قومهِ بني شيبان ويتردَّد على مدنها . فهو يذكر في شعرهِ دمشق وبعلبك . أمَّا دينهُ فقال عنهُ ابو الفرج : « وكان فيما ارى نصرانيًّا لاني وجدتُهُ في شعرهِ يحلف بالانجيل وبالرهبان وبالأيمان التي يحلف بها النصارى » . وكذلك قال الصفدي في الوافي بالوَفيات (Ms de Paris, 2432, f. 79) : « قيل انهُ كان نصرانيًّا » . ويدعوهُ عبد العزيز بن مروان (الاغاني ٦ : ١٥٢) « بابن النصرانيَّة »

﴿زمانهُ واخبارهُ﴾ نبغ نابغة بني شيبان في اواخر القرن الاوّل وفي القسم الاوّل من القرن الثاني للهجرة اعني ختام القرن السابع وفي شطر من القرن الثامن للمسيح. قال صاحب الاغاني : « كان النابغة من شعراء الدولة الاموية وكان يفد الى الشام الى خلفاء بني امية يمدحهم فيجزلون عطاءهُ . . . ومدح عبدالملك بن مروان ومَنْ بعدهُ من ولدهِ »

ومن اخبارهِ مع عبدالملك (٦٥–٨٦ هـ = ٦٨٥–٧٠٥م) ما حدَّث بهِ العُتْبي عن العُتْبي (الاغاني ٦ : ١٥١) والصفدي في فوات الوفيات قالا : لمَّا همَّ عبدالملك بخلع اخيهِ عبد العزيز وتولية الوليد ابنهِ العهدَ وكان نابغة بني شيبان منقطعاً الى عبدالملك دخل اليهِ في يوم حَفل والناس حواليهِ وولدهُ قدَّامهُ فمَثَلَ بين يديهِ وانشدهُ قصيدة طويلة رواها جامع ديوانهِ واقتطف منها ابو الفرج والصفديّ بعضها هذا اوَّلها (من المنسرح) :

اشتَقْتَ وانهلَّ دمعُ عينكَ إذْ ... اضحى قِفارًا من اهلهِ (١ طَلَحُ
بسابسٌ دارُها ومَعدِنُها ... تُمسي خلاءً وما بها شَبَحُ
كأنَّهُ لم يكنْ بها احدٌ ... فالقلبُ من قَلْبِ مَنْ نَاءَ قَرِحُ

ثم انتقل من وصف الاطلال الى ابتعادهِ عنها راكباً ناقتهُ السريعة فبلغت بهِ الى الممدوح فقال وهو يذكر انتصار عبدالملكِ على ابن الزبير ويحضُّهُ على تولية ابنه الوليد بعدهُ :

فكم وردْنا من منهلٍ أَبَدٍ ... اعذبَ ما تستقي بهِ المُتُحُ
آمِلُ فضلًا من سيبِ منتجَعٍ ... اياهُ يَنوي الثناءُ والمِدَحُ
أزَحتَ عنَّا آلَ الزُّبَير ولو ... كانوا هم المالكين ما صَلُحوا (٢
تسوسُ اهلَ الاسلام عُمْلَتُهم (٣ ... وانت عند الرحمان منتصحُ
إن تَلقَ بَأوى فانت مُصطبرٌ (٤ ... وان تُلاقِ النُّعمى فلا فَرِحُ

١) وفي ديوانهِ : انشقتَ . . . من خلَّتي ٢) وفي الديوان : ولو كان امام سواك ما صلحوا ٣) العُمْلة والبُلة أجر الدل ٤) وفي الديوان : فصابرٌ أنتَ

ترمي بعيني أروى على شرفٍ ... لم يُودِهِ عاثرٌ ولا لَمَحوا (١
تبينُ فيهِ عُنقُ الأعاصي كما ... يبينُ يوماً للناظر الصُّبحُ
آلُ ابي العاصِ اهلُ مأثرةٍ ... غُرٌّ عِتاقٌ بالخيرِ قد نَفَحوا (٢
خيرُ قُريشٍ وهم أفاضلُها ... في الجدّ جدٌّ وان هُمُ مَزَحوا
أرحبُها ذَرعاً وأخبرُها ... انتم (٣اذا القومُ في الوغى كَلَحوا
أمّا قُريشٌ فانت وازِعُها (٤ ... تكفُّ من شغبهم اذا طَمَحوا
حَفِظتَ ما ضيَّعوا وزَندَهمُ ... أوريتَ إنْ أصلدوا وان قَدَحوا (٥
مناقبُ الخير انت وارثُها ... والحمدُ ذُخرٌ تُفلَى بهِ الرِبَحُ
آليتُ جُهدًا وصادقٌ قَسَمي ... بربِّ عبدٍ تَحنُّهُ الكِرَحُ (٦
يَظَلُّ يتلو الانجيلَ يدرسهُ ... من خشيةِ الله قلبُهُ طَفِحُ (٧
لَأَبنُكَ أولى بمُلكِ والدهِ ... وعَمُّهُ ان عصاكَ مُطَّرَحُ (٨
داوُدُ عَدلٌ فاحكُمْ بسيرتهِ ... وآلَ مَروانَ كانوا قد نَصَحوا (٩
فيهم خيارٌ فاعمَلْ بسُنَّتهم ... وأحيِ بخيرٍ وا كدَحْ كما كَدَحُوا

(قال) فتبسَّم عبدالملك ولم يتكلَّم في ذلك بإقرار ولا دَفع فعلم الناس انَّ رأيَهُ خَلعُ عبدالعزيز. وبلغ عبدَ العزيز قولُ التابغة فقال: لقد ادخلَ ابنُ النصرانيّة نقمةً

١) وفي الديوان: لعينيَّ أنثى .. لم يودِ عاثرٌ ولا لمحُ ٢) روى الصفدي: قد لتحوا ٣) وفي الديوان: واصبرها صبرًا ٤) وفي الاغاني: فانت وارثُها. تكفُّ عن صميم ٥) وفي الديوان: إذ اصلدوا وقد قدحوا
٦) وفي الاغاني تصنَّع هذا الشطر فرواهُ: لربِّ عبدالله يتصحوا. ورواهُ الصفدي: بربِّ عبدالله ينتصحُ. والكِرَح جمع كَرِح وهو الدير وبيت الراهب ٧) وفي الديوان: فهو يتلو. قلبهُ نضحُ. وروى الصفدي: رقلبهُ قَرِحُ. وفي البيت شاهد على نصرانيّة الشاعر
٨) وفي الاغاني: رغيمٌ من قد عصاك ٩) وفي الاغاني: ثمّ ابنُ حربٍ فانّهم نصحوا

مدخلاً ضيّقاً واوردها مَوْرِدًا خطيرًا وبالله عليّ لئن ظفرتُ به لأخضبنّ قدمَهُ بدمه

وفي السنة ١٠١هـ (٧٢٠م) تولّى الخلافة يزيد بن عبدالملك فارسل اخاهُ مسلمة لمحاربة يزيد بن المهلّب وكان الخليفة ناقمًا عليه وهو قد فرّ من سجن سَلَفِهِ عمر بن عبد العزيز وخرج مع آل المهلّب وتفاقم امرهُ فغلبهُ مسلمة وقطع رأسهُ وارسلهُ الى يزيد اخيهِ سنة ١٠٢ (٧٢١م) فدخل النابغة الشيباني عليهِ وانشدهُ قصيدةً في تهنئتهِ بالفتح رواها جامع ديوانهِ وهي تزيد عن مئة بيت واختار منها صاحب الاغاني وصاحب الحماسة البصريّة وغيرهما بعض ابياتها. اوّلها (من الوافر) :

ألا طالَ التنظُّرُ والثواءُ ... وجاءَ الصيفُ وانكشفَ الغطاءُ

وليس يقيمُ ذو شَجَنٍ مقيمٌ ... ولا يمضي اذا ابتُغيَ المَضاءُ (١

طِوالَ الدّهر إلّا في كتابٍ ... ومِقدارٍ يوافقُهُ القضاءُ (٢

فما يُعطى الحريصُ غِنًى لحِرْصٍ ... وقد يُنمَى لذي الجودِ الثّراءُ

وفي هذه القصيدة حكمٌ جليلة يروي الادباء ابياتاً منها يتمثّلون بها كقولهِ :

غِنى نفسٍ اذا استغنَتْ غَناءُ ... وفقرُ النفس ما عَمِرَتْ شقاءُ

اذا استحيا الفتى ونَشا بحِلمٍ ... وسار الحيُّ خالقَهُ الثّناءُ

وليس يَوَدّ ذو ولدٍ ومالٍ ... خفيفَ الحِلم ليس لهُ حَياءُ

ومَنْ يكُ حَيِّاً لم يلقَ بؤساً ... يُنِخْ يوماً بعقوتهِ البَلاءُ (٣

تعاوَرُهُ بناتُ الدهر حتى ... تُثَلِّمَهُ كما انثَلَمَ الإناءُ

وكلُّ شديدةٍ نزلَتْ بحيٍّ ... سيأتي بعد شدّتها الرّخاءُ

---

١) وفي الديوان : اذا ابتغاً (كذا) ٢) وفي التاج (١٠ : ٢٩٦) بمقدارٍ (قال) : والقضاء الحكمُ الفصل وأداء الدين ٣) روى في الحماسة البصريّة (١ : ٢٤٠) : ومن يكُ ساآ . ويروى : ومن يكُ ذا حيا . ويروى : «بحرمته» بدل عقوته

فقل للمتّقي عَرْضَ المنايا(١ تَوَقَّ فليس يَنفعك ـ اتّقاءُ
ولا تبكِ المصابَ فايُّ حيٍّ اذا ما ماتَ يُحييهِ البكاءُ
وقُلْ للنفس: مَنْ تُبقي المنايا ؟ فكلُّ الناس ليسَ لهم بقاءُ
تَعَزَّيْ بالأسى في كلّ حيٍّ فذلك حين ينفعُها العَزاءُ
ستَفْنى الراسياتُ وكلُّ نفسٍ ومالٍ سوف يبلغُهُ الفناءُ
يُعَمَّرُ ذو الزمانةِ وهو كَلٌّ على الادنى وليس لهُ غَناءُ
ويَرْدَى المرءُ وهو عميدُ حيٍّ ولو فادَوْهُ ما قُبل الفِداءُ
اذا حانت منيَّتُهُ وأوصى فليس لنفسهِ منها وَقاءُ
وكلُّ أخوّةٍ في الله تَبْقى وليس يدومُ في الدنيا إخاءُ
أَصِبْ ذا الحِلْم منك بسَجْلِ وُدٍّ وصِلْهُ لا يكن منك الجَفاءُ
ولا تَصِلِ السفيهَ ولا تُجِبْهُ فانَّ وِصالَهُ داءٌ عَياءُ (٢
وانَّ فِراقَهُ في كلّ امرٍ وَصرْمُ حبالِ(٣ خِلَّتِهِ شِفاءُ
وضيفَكَ ما عَمِرْتَ فلا تُهِنْهُ وآثِرْهُ وان قَلَّ العَشاءُ
ولا تجعَلْ طعامَ الليلِ ذُخرًا لِحذارَ غدٍ لكل غدٍ غِذاءُ
وكلُّ جراحةٍ تُؤسى فتَبرا ولا يَبرا اذا جرَحَ الهِجاءُ
يؤثّر في القلوب لهُ كَلومٌ كداء الموتِ ليس لهُ دواءُ
من الشعراء أكفاءٌ فُحولٌ وفرّاثون إنْ نَطقوا أساءوا

١) وفي ديوانهِ: حَدَثَ المنايا ٢) كذا في حماسة البحتري (ع ٣٢٢) وفي الديوان: فانَّ وصال ذي المِزَيات داءٌ. المِزْيَة العيب ٣) وفي حماسة البحتري: وقطعُ حبال

فهل شِعْرانِ شعرُ غِنىً وحُكْمٍ وشعرٌ لا يَهيجُ بهِ سَواءُ
فان يكُ شاعرٌ يَغْوي فاني وجدتُ الكلبَ يقتُلُهُ العَواءُ

وفيها يقول يمدح يزيد :

أَوُمُّ فتًى من الاعياص مَلْكاً أَغَرَّ كأنَّ غُرَّتَهُ ضِياءُ
لِأُسْمِعَهُ غريبَ الشعر مَدْحاً وأُثني حيث يتَّصلُ الثناءُ (١
يزيدُ الخيرِ وهو يزيدُ خيرًا وينمي كلَّما ابتُغِيَ النَّماءُ
الى الشَّمِّ الشماخِ من قُرَيْشٍ تَحوَّبَ عن ذوائبها العَماءُ (٢
قريشٌ تبتغي المعروفَ قِدْماً وليس كما بَنَيْتَ لها بناءُ
فَضَضْتَ كتائب الازديّ فضًّا بكَبْشك حين لَفَّهما اللقاءُ (٣
وعادتُهُ اذا لاقى كباشاً فناطَحَهُنَّ قتلٌ واحتواءُ
أَبَدتَّ عدوَّهم وعفوتَ عفوًا بهِ حُقِنَتْ من الناسِ الدماءُ
سَمَكْتَ لهم بإذنِ الله ملكاً كما سُمِكَتْ على الارضِ السماءُ
واحيَيْتَ العطاءَ وكان مَيْتاً ولا واللهِ ما حُمِيَ العطاءُ
ففي كلِّ القبائل من مَعَدٍّ ومن يَمَنٍ لهُ ايضاً جِباءُ
وَصَلْتَ اخاكَ وهو وليُّ عهدٍ وعند اللهِ في الصِلة الجزاءُ
نُرَجِّي ان تكون لنا إماماً وفي مُلك الوليد لنا الرجاءُ (٤
هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ تريد لك الفَناءَ لك الفداءُ (٥

---

١) وفي الديوان : غريب الشعر غرًّا . . حيث يتصلُ ٢) قال ويروى : يحوبُ على ذوائبها العماء . والعماء السحاب الرقيق ٣) يريد يزيد بن المهلب . ويروى : بكبشك وهو بيتهُ اللقاءُ ٤) اراد الوليد ابن الخليفة يرجو لهُ الخلافة بعد ابيهِ بنبذ حقوق اخوي الخليفة هشام والوليد ابني عبد الملك ٥) في الاغاني : تريد لك الفناء (كذا)

وانت ابنُ الخلائفِ من قُريشٍ نَموكَ وفي عَداوتهم إباءُ
إمامُ الناس لا ضَرْعٌ صغيرٌ ولا قَحْمٌ يُثلِمُهُ الزَّكاءُ
على الأعياص عندكَ حين تُعْفي لممتدحٍ من الثمن الغَلاءُ
ومحتبطين من بلدٍ بعيدٍ عَبأتَ لهم بِسجالكَ حين جاؤوا
كشفتَ الفقرَ والإقتار عنهم فنالوا الخير وانكشفَ الغِطاءُ
فعيصُكَ خيرُ عيصٍ في قريشٍ وهم من كلِّ سَيِّئةٍ بَراءُ
أُولاكَ السابقونَ بكلِّ خيرٍ اذا كَذَبَ المسِقَةَ البَطاءُ

وقد روى البحتري في حماسته (ع ١٢٢٤) بيتين من هذه القصيدة لم نجدهما في الديوان وهما :

وكائِنْ قد تراهُ يُسِرُّ أمرًا عليهِ من سريرتهِ لِواءُ
ومُظهرِ عارفٍ ومُسِرِّ سوءٍ وما يَمْحو سريرتهُ الرِّياءُ

قال ابو الفرج (٦ : ١٥٢) : فامر لهُ (يزيد) بمائة ناقة من نَعَم بني كَلب وأن تُوقَر لهُ بُرًّا وزبيباً وكساهُ واجزل صِلَتَهُ

(قال) ووفد النابغة الى هشام لما ولي الخلافة (١٠٥—١٢٥ هـ = ٧٢٤—٧٤٣ م) فلمَّا رآهُ زجرهُ وشتمهُ ثمَّ قال : الستَ القائل :

هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ تريد لكَ الثَّناءَ لكَ الفداءُ

أخرجوهُ عني والله لا يرزأني شيئاً ابدًا . وحرمهُ ولم يزل أيامهُ طريدًا حتى ولي الوليد بن يزيد (١٢٥—١٢٦ هـ = ٧٤٣—٧٤٤ م) فوفد اليهِ ومدحهُ مدائح كثيرة فأجزل صِلَتهُ

ومما اخبرهُ في الاغاني (٦ : ١٥٣) انَّ ابا كامل مولى الوليد بن يزيد غنَّى يوماً بحضرتهِ ابياتاً في مديح الخمرة فسأل الوليد عن قائل هذا الشعر فقيل نابغة بني شيبان

فامر باحضاره فاحضره فاستنشده القصيدة فانشده اياها وظنّ انّ فيها مدحاً له فاذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم فقال له الوليد: لو سَمَدَ جَدُّك لكانت مديحاً فينا لا في بني شيبان ولسنا نُخليك على ذلك من حظّ. ووصله وانصرف. واوّل هذه القصيدة (من الرمل):

حلّ قلبي من سُلَيمى نَبْلُها اذ رمَتْني بسِهامٍ لم تَطِشْ

وفيها وصفُ الخمرة:

أيُّها الساقي سقَتْك مُزْنَةٌ(١ من ربيعٍ ذي أهاضيبَ وطَشْ
إمدَحِ الكأسَ ومَن أعمَلَها واهجُ قوماً قتَلونا بالعَطَشْ
انّما الكأسُ ربيعٌ باكرٌ فاذا ما غابَ عنّا لم نَعِشْ (٢
وكأنّ الشَّرْبَ قومٌ مُوتَوا مَن يَقُم منهم لأمرٍ يرتعِشْ
خُرْسُ الألسُن ممّا نالَهُم بين مصدوعٍ وصاحٍ مُنتَعِشْ (٣
من حُمَيّا قَرْقَفٍ حُصَيَّةٍ قهوةٍ حَوْلِيَّةٍ لم تَنْحِشْ (٤
ينفعُ المزكومَ منها ريحُها ثمّ تشفي داءَهُ ان لم تَنِشْ (٥
كلّ من يشربُها يألَفُها يُنفق الاموالَ فيها كلّ هَشْ

وفيها يقول مفتخراً بقومه بني شيبان:

---

١) وفي الديوان: سقتْهُ مزنةٌ ٢) في هذين البيتين غناء لابي كامل قال في الاغاني هو لحنُهُ المختار من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى وهو الذي تسمّيه الناس اليوم الماخوري
٣) وفي الديوان: تمّا صاجم. وفي الاغاني: بين مصروعٍ ٤) الحُصَيَّة اي الشيبة بالحاء وهو الزعفران. ولم تحنش لم تصبها النار ٥) وفي الاغاني: تنفي داءَهُ. قال في الديوان: لم تَنِشْ من النَّشْوة. وفي قوله نظر. لان النَّشْوة من نَشَا نَشْوا اي سكر. ونشّ هنا مضاعف يقال نشّ النبيذ اذا غلى وذهب ماؤه

وبنو شيبـانَ حولي عُصَبٌ منهمُ غُلْبٌ وليسوا بالقُمُشْ (١
وردوا المَجْد وكانوا اهلَـهُ فرَوُوا والمجدُ عافٍ لم يُنَشْ (٢
وترى الجُرْدَ لـدى أبياتهم كرِبابٍ بين صَلْصال وجَشْ (٣
فبها يَحْوون اموال العـدى ويصيدون عليها كلّ وَحْشْ
دَمِيَتْ أكفالُها من طعنهم بالرُّدَيْنِيَّات والخيـلِ النُّجُشْ
نُنْهِل الخَطّيَّ من اعدائنا ثمّ نفري الهامَ إن لم تَفْتَرِشْ (٤
ذاك قولي وثنـائي وهمُ اهلُ ودّي خالصاً في غير غِشْ
فسَلُوا شيبانَ ان فارقتُهم يوم يمشون الى قبري يَنَشْ
هل غَشِينا مَحْرماً من قومنا او جزَينا جازياً فُحْشاً بفُحْشْ

ما احسن هذا الختام وفيهِ دليل واضح على نصرانيَّة شيبان العاملين بوصيَّـة السيد المسيح وامرهِ بمحبَّة الاعداء (لها بقيَّة)

اخلاق ومشاهد

بحث انتقادي بقلم فواز افرام البستاني

تلميذ الخطابة واحد اعضاء المحفل الادبيّ في كليّتنا

اعزُّ مكانٍ في الدُّنى ظَهْرُ سابحٍ وخيرُ جليسٍ في الانامِ كتابُ

امّا السوابح فلاسوابح ، وامّا الكتب فكثيرة بحمدالله وفضل كاتبيها العديدين

١) وفي الديوان : حولي منهم حَلَقٌ . والقُمُش الرعاع ٢) ويروى : والمجدُ عافٍ . لم يُنَش اي لم يُنَل ولم ينقص ٣) وفي الديوان : وترى الخيل . . . كلّ جرداء وشاحيٌ هِمَش ٤) اي نسقي في الحرب رماحنا الخطّيَّة من دماء اعدائنا ثمّ نقلع رؤوسهم ان لم تخضع لنا